

جمعية مراكز الأحياء - مكة المكرمة

تَعْظِيمُ رَسَائِلِ اللَّهِ الرَّسُولِ

# رِسَائِلُ اللَّهِ الرَّسُولِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله الذي لا يضيع عمل عاملٍ من ذكرٍ أو أنثى. وبعد:

فإنَّ في صحائفِ التاريخِ أمجادًا، وإنَّ في سِجْلِ الأيامِ فخارًا.

بين أيدينا قطوفٌ من قِصصِ نساءٍ عِشْنَ مع الأنبياءِ عليهم السلامُ، أثروا فيهنَّ وأثرنَ فيهنَّ، تأثيرًا يُحسَبُ لهنَّ ويرفعُ من درجاتهنَّ. فهلمَّي نفتحُ سِجْلَ الأيامِ ونُقلِّبْ صحائفَ التاريخِ حتى نتعلَّم من سيداتنا اللاتي عِشْنَ في كَنَفِ الأنبياءِ، سَعِدْنَ بعشرتهم وسُرِرْنَ لفرحهم، وبكِنَ لهمَّهم، وتألَّمْنَ لألمهم.

﴿يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَمْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِيْنَ يَمْرِيْمُ أَقْتَبِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِيْنَ﴾

## المدخل

١ - التكريم :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَا لَهُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾  
الإسراء. ﴿٧٠﴾

عناصر تكريم الله للإنسان:

- خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده.
- نفخ الله تعالى في آدم من رُوحه سبحانه.
- أسجد الله الملائكة لآدم تعظيماً وتشريفاً.
- الله تعالى هو الذي علّم آدم عليه السلام.

- أظهرَ اللهُ تعالى شَرَفَ آدَمَ بالعلمِ، أمامَ الملائكةِ.
  - لعنَ اللهُ تعالى إبليسَ وطَرَدَهُ لامتناعِهِ عن السجودِ لِآدَمَ عليه السلامُ.
  - أسكنَ اللهُ تعالى آدَمَ وزوجَهُ الجنةَ.
  - اختصَّ اللهُ تعالى آدَمَ وذريَّتَهُ باللباسِ.
  - سخَّرَ اللهُ تعالى لِآدَمَ وذريَّتِهِ ما في السماواتِ وما في الأرضِ.
  - اصطفى اللهُ تعالى الرسلَ والأنبياءَ من ذريةِ آدَمَ.
  - أنزلَ اللهُ لِلإنسانِ الكتبَ.
  - مَيَّزَ اللهُ تعالى الإنسانَ بالكلامِ وعَلَّمَهُ البيانَ.
-

٢. تكريم الله لك .. سبب عداوة الشيطان للإنسان:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْت عَلَىٰ لِبْنٍ آخَرَ تَنْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٦٦﴾ الإسراء.

٣. تمكينٌ لمواجهةِ الخصم، مع شريعةِ الله تعالى، لبناءِ نفوسٍ زكيةٍ، وعقولٍ سليمةٍ، وأعمالٍ صالحةٍ.

نساء الرسائل نموذجًا.

## أمُّ البشرية

### • أول شريكة للرجل في الحياة:

حواءُ زوجةُ أبينا آدم عليه السلام، خلقها الله تعالى من آدم عليه السلام لتكون سكناً له وأنساً. قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيئاً فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ الأعراف.

### • أمنا حواء:

"حواء" سميت بذلك لأنها أم كل حيٍّ من بني آدم عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴿١﴾﴾ النساء.

## • أول ساكنة في الجنة:

حواء سكنت الجنة مع زوجها آدمَ عليهما السلام، فهما أول من أبصر الجنة من البشر. قال الله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٣٥]

## • دارٌ طيبةٌ:

جمعت الجنة التي سكنتها أمنا حواء مع أبينا آدم = مقوماتٍ أربع، هي: العيش الطيب، والشراب، والكسوة، والمسكن. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾ [١١٨] وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴾ [١١٩] طه: ١١٨ - ١١٩.

فاللباس الساتر = حُكْمٌ إلهيٌّ مباشرٌ صدرَ من أعلى سلطةٍ في هذا الوجود: من اللهوربِّ العالمين، خالقِ الأكوانِ أجمعين، ومع اللحظات الأولى لوجودِ الجنسِ البشريِّ، فكان لباسُ الجنة رمزًا للرضى الإلهيِّ، والعريُّ رمزًا للتمردِ على الخالقِ جلَّ وعلا.

## • المشروعُ الإبليسيُّ الأول:

نزَعُ اللباسِ وإظهارُ العوراتِ هو مشروعُ إبليسِ الأول. وقد ابتداءً به مع أَمنا حواءِ وأبينا آدمَ وهما في الجنة. قال اللهُ تعالى:

﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى ﴿١٣٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٣١﴾ ﴾ طه.

وقال اللهُ تعالى: ﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الأعراف.

وليسَ أبعدَ في المنكرِ والخزيِّ من أن يتعرَّى الإنسانُ ويكشفَ عن عورتهِ على ملأٍ من الناسِ !!

## • سر الحياة.. توبة بعد ذنب:

اعترفت أمنا حواء وأبينا آدم بخطئهما. قال الله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ الأعراف.

فالافتقار إلى الله تعالى، والإنابة إليه، والاستكانة، والاعتراف بالخطأ = هذا سر من الأسرار؛ وما سرى في أحد من ذرية آدم إلا كانت عاقبته إلى خير في دنياه وآخرته.

## • الحياء والستر فطرة.. والتعري انتكاس:

بدت السوءات، فبادر الأبوان إلى سترها حياءً بدون سابق تعليم؛ فدلّ على أن ستر العورات وحفظها = هو من خلق الأبوين الكريمين عليها السلام، فطرا عليه. والتكشّف والتعري من حيل الشيطان الرجيم ووسوسته وكيدِه بالإنسان. قال الله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا

الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ نِيهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ الأعراف.  
وهنا يبدو الشيطان في هيئة ناصح! ومنذ متى كان الشيطان ناصحاً؟

## • الفِرَاقُ الْمُؤَلِّمُ:

إِنَّ مَخَالَفَةَ الْحَقِّ وَقَبُولَ وَسْوَاسَةِ الْخِصْمِ هِيَ مَتَعَةٌ سَاعَةٌ! لَكِنهَا أَنْتَجَتْ أَلَمًا وَحَرَمَانًا! قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ الأعراف.

فَأُخْرِجَ الْأَبْوَانَ مِنَ الْجَنَّةِ وَفَارَقَاهَا.

## • معالم رحلة العودة إلى الجنة تعلن للبشرية من صعيد عرفة:

ترك الحق والتعري سبب الخروج من الجنة، التوبة الصادقة سبب إعطاء فرصة وحيدة وأخيرة للعودة إلى الجنة قال تعالى: ﴿ قَالَ أَهْبُطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٣٣﴾ ﴾ طه.

على أرض عرفة.. نُشِرَتِ الْبَشَرِيَّةُ كُلُّهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي آدَمَ وَبِحَضُورِ الْأُمَّ حَوَاءَ.

وقد بيّن الله سبحانه وتعالى للجميع طريق العودة إلى الجنة، وأخذ العهد من الجميع بلزوم الحق.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلب آدم كل ذرية ذرأها، فنشرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلاً.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَهِيَ كُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ الأعراف. (١)

○ ما كان سبباً للخروج لن يكون سبباً للدخول :

بسبب العري خرج الأبوان من الجنة ففعلهُ في الدنيا لن يكون طريقاً للعودة إلى الجنة!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» (٢).

(١) أخرجه أحمد (٢٧٢/١)، والحاكم (٥٩٣/٢) وصححه، ووافقه الذهبي والألباني في الصحيحة (١٦٢٣).

(٢) رواه مسلم (١٦٨٠/٣).

• معالمُ طريقِ العودةِ إلى الجنةِ :

- (١) اتباعُ هُدىِ اللهِ تعالى.
  - (٢) الحفاظُ على الحياءِ والعفافِ والسترِ.
  - (٣) مُعاداةُ إبليسَ وعدمُ الإصغاءِ لوسوستِهِ عموماً، وفي مسألةِ العفافِ والسترِ خاصّةً.
  - (٤) التوبةُ السريعةُ عندَ الخطأِ وعندَ الوقوعِ في شباكِ إبليسِ.
-

## الصديقة المهاجرة

• زوجة الخليل إبراهيم عليه السلام :

سارة بنت هاران بنت عم الخليل إبراهيم عليه السلام، تزوجها إبراهيم عليه السلام وهو بأرض بابل، وأحبها لدينها، وقربتها منه، وحسنها الباهر. قال ابن كثير: قيل إنه لم تكن امرأة بعد حواء إلى زمانها أحسن منها، رضي الله عنها.

فنعم الزوجة المؤمنة سارة:

- فقد آمنت بالله عزَّ وجلَّ.
- وصدقت برسالة الخليل إبراهيم عليه السلام.
- وصبرت مع زوجها زمنَ مناظرته لقومه، وزمنَ إلقائه في النار.
- وكانت المؤمنة الوحيدة من قوم إبراهيم عليه السلام في أرض بابل، يشاركونها في الإيمان لوط عليه السلام.
- وحين لم يبق للخليل عليه السلام قبولٌ بأرض بابل هجر قومه وخرج مهاجرًا، وخرجت معه زوجته الصديقة سارة مهاجرةً إلى الله تعالى.

## العفاف خطوة كبرى في طريق الانتصار

### هجرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى بلاد الشام

حينما أصرَّ قومُ إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام على الكفرِ والضلالِ ولم يؤمنْ به إلا نفرٌ قليلٌ، ولمَّا لم يجدْ إبراهيمُ عليه السلام منهم إقبالاً إلى الهدى والإيمان = أراد أن يُهاجرَ إلى بلدٍ يتمكن فيه من عبادةِ الله تعالى ودعوة الناس إلى الإسلام، علَّه يجدُ آذاناً صاغيةً وقلوباً واعيةً تقبلُ الحقَّ ويُقرُّ بوحدايةِ الله الملكِ الديان.

وقد نقل الله تعالى قول نبيه إبراهيم عليه السلام عن هذه الهجرة: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ﴿٩٩﴾

هاجرَ سيدنا إبراهيمُ عليه السلام مع زوجته سارة وابن أخيه لوطٍ إلى أرضِ الشام، وبعث الله تعالى سيدنا لوطاً رسولاً إلى أهلِ "سدوم" في أطرافِ الأردنِ المؤتفكة، وكانت هجرةُ إبراهيمَ عليه السلام إلى الشام في سبيلِ الله هجرةً مباركةً، وهبه الله تبارك وتعالى بها الأولادَ الصالحين وجعل في ذريته النبوةَ والكتاب.

قال الحق سبحانه: ﴿ \* فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ العنكبوت.

رحيل إبراهيم عليه السلام إلى مصر:

لَمَّا ضَاقَتْ سُبُلُ الْعَيْشِ فِي الشَّامِ وَعَمَّ الْقَحْطُ رَحَلَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَزَوْجَتَهُ سَارَةَ إِلَى مِصْرَ، وَكَانَ مَلِكُهَا كَافِرًا جَبَارًا مُتَسَلِّطًا، قَابِضًا عَلَى زِمَامِ الْحُكْمِ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ.

وكان من جملة فساد هذا الملك الخبيث أنه إذا دخلت إلى بلديته وأرضه امرأة جميلة أخذت إليه، فلما دخل إبراهيم عليه السلام مع زوجته سارة إلى أرض مصر وصفوا للملك حسن سارة وجمالها، عليها السلام. فقد كانت من أحسن النساء وأجملهن. فأرسل الملك إلى إبراهيم، فقال له: من هذه المرأة التي معك؟ ففطن إبراهيم عليه السلام إلى مقصده الخبيث ومأربه، وخشي أن أخبره أنها زوجته أن يبيت لها الشر فيقتله ويتخلص منه فيستأثر بسارة من بعده.

فقال له إبراهيم: إنَّها "أختي". أي أختي في الإسلام. فظنَّ الملكُ الجبارُ أنها غيرُ متزوجةٍ، فطلب منه أن يُحضِرَها إليه في قصره، وذهب إبراهيم عليه السلام إلى زوجته سارة وأخبرها بما جرى مع هذا الملكِ الجبارِ، وقال لها: يا سارة! ليس على وجهِ الأرضِ زوجانِ مؤمنانِ غيري وغيرِك، وإنَّ هذا سألني فأخبرته أنك أختي، فلا تُكذِّبيني.

فالخصم: مَلِكٌ مِنَ المَلُوكِ وَجَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ. ولم يكونا يملكان من مقومات الدفاع المادية شيئاً. لكنهما موقنين أن طريقاً واحداً هو طريقُ النجاة.. وهو الفرارُ من هذا الملكِ إلى الله ملكِ الملوكِ.. ومن هذا الجبارِ إلى جبارِ السماواتِ والأرضِ... فهو سبحانه مع المكروبِ، والملهوفِ، والمظلومِ، يجيبُ دعوتهم ويُغيثُ لهفتهم.

وقام إبراهيم يصلي، وتوضأت سارة وصلت ودعت الله تعالى وتوسلت إليه بأرجى أعمالها = إِيَّاهَا وَعِفَّتُهَا: أن يكفِيها شرَّ هذا الملكِ الجبَّارِ، فلما رءاها الملكُ أَعْجَبَ بها ومدَّ يده إليها ليتناولها، فأتت النصرَةُ من السماءِ لهذه المرأةِ الضعيفةِ بخلْقَتِها القويةِ بإيمانها، فَشَلَّ اللهُ القويُّ المتينُ يدَ الظالمِ الغشومِ، فبيَّست، ولم يستطع أن يحركها، ثم ضاقتِ نَفْسُهُ وكاد يخنقُ حتى سُمِعَ له غطيظٌ كغطيظِ النائمِ.. وراح يضربُ برجله الأرضَ من شدة الاختناقِ..

وانقلبت الموازين، فإذا بالملك الجبار يتوسل المرأة الضعيفة سارة أن تدعو ربها ليذهب عنه ما أصابه، ووعدها ألا يمسه بسوء. فتوجهت بالدعاء إلى الله تعالى غياث المستغيثين.. فقد خافت إن مات الظالم على هذا الحال أن يتهموها بقتله، فيقتلوهها... فاستجاب الله لها.. فانفكت يده بعد يُبسها وعادت الى طبيعتها، ولكن الخبيث طواع نفسه أن يمد يده إلى سارة مرة ثانية، وثالثة، فلما أهوى إليها يئست مثل المرة الأولى أو أشد، فقال لها: ادعي الله لي ولا أضرك. فدعت الله تعالى فأطلق الله يده.

فلما رأى الخبيث ما رأى خاف على نفسه، وأيقن أنه لا سبيل إلى سارة، فأطلق سراحها، ودعا بعض حجبه فقال لهم: إنكم لم تأتوني بإنسانٍ إنما أتيتموني بجنية.

ووهب لها الملك جارية اسمها هاجر، فأقبلت سارة عليها السلام بهاجر إلى زوجها إبراهيم عليه السلام ووجدته قائماً يصلي لله تعالى ليفرج عنهم، ثم لما سألها عما جرى قالت له: كف الله كيد الكافرين وأخدمني هاجر.

## استمعي إلى أبي هريرة رضي الله عنه يقصُّ عليكِ القصةَ :

روى البخاريُّ في صحيحه بسنده، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: قال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " هَاجَرَ<sup>(١)</sup> إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَارَةَ<sup>(٢)</sup>، فَدَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ أَوْ جَبَّارٌ<sup>(٣)</sup> مِنَ الْجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ: دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بِامْرَأَةٍ هِيَ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ<sup>(٤)</sup>، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ مَنْ هَذِهِ الَّتِي مَعَكَ؟ قَالَ: أُخْتِي، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: لَا تُكْذِبِي حَدِيثِي، فَإِنِّي أَخْبَرْتُهُمْ أَنَّكَ أُخْتِي<sup>(٥)</sup>، وَاللَّهِ إِنْ عَلَى الْأَرْضِ<sup>(٦)</sup> مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكَ، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ فَقَامَ إِلَيْهَا<sup>(٧)</sup>، فَقَامَتْ تَوَضُّأً وَتُصَلِّي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ،

(١) سافر.

(٢) زوجته رضي الله عنها.

(٣) ملك ظالم باغ.

(٤) وسيدنا يوسف عليه السلام حفيدها، وقد آتاه الله شطر الحسن.

(٥) ولم يقل له زوجتي لأنه ربا يقتله ويتخلص منه، ويأخذ هاجر. وقد قال لها إبراهيم عليه السلام: إنك أختي في الإسلام.

(٦) أي: ليس على الأرض مؤمنٌ غيري وغيرك.

(٧) ذهب يتناولها بيده.

وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي، إِلَّا عَلَى زَوْجِي فَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ الْكَافِرَ، فَعُطِّ<sup>(١)</sup> حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ<sup>(٢)</sup>، قَالَ الْأَعْرَجُ: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: " قَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ يُقَالُ هِيَ قَتَلْتَهُ، فَأُرْسِلَ<sup>(٣)</sup> ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَوَضَّأُ تُصَلِّي، وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلَّا عَلَى زَوْجِي، فَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ هَذَا الْكَافِرَ، فَعُطِّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ "، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: " فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ فَيُقَالُ هِيَ قَتَلْتَهُ، فَأُرْسِلَ فِي الثَّانِيَةِ، أَوْ فِي الثَّلَاثَةِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أُرْسَلْتُمْ إِلَيَّ إِلَّا شَيْطَانًا، ارْجِعُوا هَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَأَعْطُوهَا آجَرَ<sup>(٤)</sup> فَرَجَعْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَتْ: أَشَعَرْتُ أَنَّ اللَّهَ كَبَّتْ<sup>(٥)</sup> الْكَافِرَ وَأَخْدَمَ وَلِيدَهُ<sup>(٦)</sup> " <sup>(٧)</sup>.

(١) كأنَّ أحدًا خنقه حتى ضاق نَفْسُهُ وكاد يخنق.

(٢) حركها وضربها على الأرض.

(٣) نجا من الموت، بعد أن قال لها: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت له.

(٤) هي هاجر أم إسماعيل عليه السلام.

(٥) أذله الله وأخزاه ورده خاسئًا.

(٦) أعطها جاريتةً تخدمها.

(٧) رواه البخاري (٨٠/٣).

وفي رواية: «فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكَ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا فُقِبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً، فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أُضْرِكَ فَفَعَلَتْ. فَعَادَ فُقِبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ فَفَعَلَتْ. فَعَادَ فُقِبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي فَلَكَ اللَّهُ أَنْ لَا أُضْرِكَ. فَفَعَلَتْ وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ...»

## ضحكة الاستبشار

### • سارة الصديقة مع زوجها في خدمة الضيفان :

جاءت الملائكة على هيئة البشر ضيوفاً، ودخلوا على إبراهيم عليه السلام وهو لا يعرف أنهم من الملائكة، وكان عليه السلام معروفاً بإكرام الضيف، فذهب وجاء بعجلٍ سمينٍ شواه على النارٍ وقدمه لضيوفه ليأكلوا منه. ولما وضع لهم الطعام لم يمدوا أيديهم إليه ولم يأكلوا منه، فخاف إبراهيم عليه السلام لأن العادة أن الضيف الذي لا يأكل الطعام يُضمِرُ شرّاً لأهل البيت، فلما رأى الملائكة خوف إبراهيم عليه السلام طمأنوه، وأخبروه أنهم ملائكة، أرسلهم الله تعالى إلى قوم لوط ليوقعوا عليهم العذاب والهلاك.

فلما سمعت زوجته السيدة سارة فرحت بذلك لعلمها بسوء ما يفعل هؤلاء القوم، فسطرت فرحتها تلك قرآناً يتلى إلى يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيدٍ ﴿٦١﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ

نَكَرَهُمْ وَأَوَّجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ

﴿٧١﴾ هود.

إنها ضحكة الاستبشار بنصر الله تعالى المؤمنين وانتقامه من القوم الظالمين.

## إيمان وعفاف أثمر رحمة وبركة وولداً وحفيداً

الأمومة فطرة الله في المرأة. وقد تعلق قلبُ سارة رضي الله عنها بحبِّ الولد، ولَمَّا كانت عجوزاً عقيماً وكان زوجها شيخاً كبيراً، قيل: كان قد بلغ من العمر ستاً وثمانين سنةً وهي قد تجاوزت السبعين، فأَتَى لها بالولد، لكنها كانت مؤمنةً صادقةً عفيفةً. وكان إبراهيم عليه السلام قد دعا الله أن يَهَبَ له ولداً من الصالحين، فأخَرَت الدعوة حتى كَبُر. وجاءتهم الملائكةُ وبشَّرتها بالولد، وبولد الولد، وبصلاحهم، وبطولِ عُمرها حتى ترى حفيدها، وأنَّ زوجها يكون معها؛ وأعظمُ من ذلك: البشارةُ برحمةِ الله وبركاته عليها وعلى زوجها وولدها. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَتُوبَلَىٰ أَيْلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا اتَّعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ هود.

إنه الإيمان والعفاف الذي أفاض الله به عليها القبول في الأرض والسماء.

- في طريق الصديقة المهاجرة عبرة وفائدة :
  - اثبتي على الإيمان.
  - اختاري الزوج الصالح.
  - حافظي على عفافك.
  - أطيعي زوجك وشاركيه في الصالحات.
  - على الزوجة أن تكون مصدر سرور لزوجها.
  - اصبري عند الأزمات.
  - الأمومة الصادقة.
  - كوني غيورة على دين الله عز وجل.
  - ثقي في الله عز وجل وفي نصره.
  - توسلي إلى الله تعالى عند الأزمات بالأعمال الصالحات.
  - أن إحصان الفرج والعفاف أرجى الأعمال الصالحة لك عند الله تعالى بعد الإيمان بالله.

## صابرة في وادي بكّة

• من بيت ملك فاجرٍ إلى بيت خليل الله أبي الأنبياء :

هاجرٌ عليها السلام امرأة من القبط، وهبها ملك مصر لسارة زوجة إبراهيم عليه السلام، فخرجت من بيت ملك جبارٍ إلى بيت خليل الرحمن، خرجت من بيت الملك غير مسلمة، وفي بيت الخليل إبراهيم صارت مثلاً لكل مؤمنة.

• هذه أمكم يا بني ماء السماء :

الصدّيقة سارة رضي الله عنها لم تكرم بالولد، فهي عقيمٌ وصارت عجوزًا، وكان يحزنها أن ترى زوجها ليس له ولدٌ. قيل: كان قد بلغ من العمر ستًا وثمانين سنةً وهي قد تجاوزت السبعين، فوهبت سارة هاجر لزوجها إبراهيم عليه السلام فولدت له غلامًا زكيًا هو سيّدنا إسماعيل عليه السلام، الذي كان من نسله سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وفرح إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهذا المولود الجديد، وكذلك فرحت زوجته سارة لفرجه. وقد سطر القرآن الكريم حمد إبراهيم ربه على نعمة الولد، قال إبراهيم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٦١﴾﴾ إبراهيم.

وكثر ذرية إسماعيل وتناسلت، وكُلُّ ولدِ إسماعيلٍ من العربِ يقال لهم "بني ماءِ السماء" لأنَّ أمَّنَا هاجرَ شربت من ماءِ زمزمَ وأرضعت ابنها إسماعيلَ عليه السلامُ فربى بهاءِ زمزم، وهي من ماء السماء.

• أنا هاجرُ أمُّ ولدِ إبراهيمَ عليه السلام :

الارتباط بالخليلِ شرفٌ وأي شرف، وقد تربت هاجرُ في بيت الخليل، وآمنت به وصدقته، ومنه أنجبت ولدهما إسماعيل، وعلى خطى المتوكلين.. وضعها الخليل في وادٍ غير ذي زرع.  
وفي حديثِ خبرِ هاجرَ وسُكنى مكةَ شَرَّفَهَا اللهُ: (قال: فناداها جبريلُ فقالَ لها: من أنتِ؟ فقالت: أنا هاجر، أمُّ ولدِ إبراهيم. قال: إلى من وكلِّكما؟ قالت: وكلِّنا إلى الله. قال: وكلِّكما إلى كافٍ!)<sup>(١)</sup>.  
وَحَقَّ لها هذا الافتخارُ، إسماعيلُ ولدها من الخليلِ إبراهيم، صدقتُ وصدقَت.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ت شاكر (٦٩/٣) وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٠٢/٦).

• حنان مشكور :

ابتدأ السعي بين الصفا والمروة مع أمنا هاجر، يوم أن انطلقت تبحث عن مُنْقِذٍ لوليدها، فلم تتحمل رؤيته يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض من الظم والجوع، فصعدت الصفا، فنظرت فلم تر شيئاً. ثم أتت المروة، فنظرت فلم تر شيئاً، ثم رجعت إلى الصفا فنظرت، فلم تر شيئاً. حتى فعلت ذلك سبع مرات.

فشكر الله عز وجل لها توكلها وحنانها على ولدها، فعبد الرجال والنساء منذ ذلك اليوم وإلى يوم القيامة بهذا العمل، ولتبقى من رمزيته بشارة لكل أم عطف على ولدها حتى أشغلها حاله عن حالها.

• امرأة تنظم أعظم مدينة في الدنيا :

يظل تاريخ مكة -شرفها الله- المحفوظ إلى اليوم = مقرونًا بالخليل وأهل بيت الخليل إبراهيم عليه السلام لحكمة أرادها الله، وأن يكون ذلك مع أمنا هاجر رضي الله عنها، أم إسماعيل عليه السلام، التي أدارت أمر زمزم، وأذنت لقبيلة جرهم أن ينزلوا بجوارها

ولكن شرطت أنه لا حَقَّ لهم في إدارة ماء زمزم، في وقتٍ لم يكن معها إلا وليدٌ رضيعٌ، وزوجها بعيدٌ، والجيرانُ غرباءٌ، فما خُدِشَ لها حياءٌ، وما انتَهَكَ لها عفافٌ، إنها وُهِبَتْ للصدِّيقَةِ سارةَ حينَ ثبتت في طُهرٍ وعِفَّةٍ واعتزاز.

### • أولُ من سَنَّ جرَّ الثيابِ للمرأة عند العرب :

ليست هاجر المِنطَق، وهو ثوبٌ طويلٌ إن مشت مسحَ ذيلُهُ آثارَ مشيها، فعلته أولَ مرةٍ حتى تُخْفِيَ آثارَها عن مولاتها سارة. وقد غادرتُ هاجرُ بعد ولادتها، واستمرت في لبسه.

جاء في الحديث عن رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: "أولُ ما أحدثَ العربَ جرَّ الذُّيولِ"<sup>(١)</sup>: عن أمِّ إسماعيل "٢".  
ما أعظمَ بركةَ بيتِ الخليلِ على النَّاسِ.

(١) ثوبٌ طويلٌ إن مشت مسحَ ذيلُهُ آثارَ مشيها.

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٠١/٦).

## وفاء شهد به القرآن :

جاء خليلُ الله إبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بابنه إسماعيلَ وزوجته هاجرَ عليها السلام إلى مكة = لأجلِ أن تقومَ ذُرِّيَّتُهُ من بعده إلى يومِ القيامةِ عبادةَ الله تعالى وحده، وبالصلاةِ في هذا المكانِ.

وقد بدأ خليلُ الله إبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالاهتمامِ بتربيةِ ابنه إسماعيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على الصلاة وهو ما يزال طفلاً رضيعاً، فقد كان يدعو الله تعالى أن يجعله مُقيماً للصلاة.

وقامت السيدةُ هاجرُ أمُّ إسماعيلَ عليها السلام بواجبها، وكانت أمينةً في تربيةِ ابنها على الصلاة، وشهد الله سبحانه لها بوفائها ونجاحها في تربيةِ ابنها. بل صار إسماعيلُ عليه السلام نبياً، مقيماً للصلاة، ومدحه الله تعالى في القرآن، قال تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴿٥٥﴾﴾ مريم. ثم رضي عنه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ سورة مريم.

وقد أمرنا الله تعالى بالاعتداءِ بخليلِ الله إبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

## معالم لجيران بيت الخليل عليه السلام : أهل مكة

- أعظمُ مشاريعِ المرأةِ = بناءُ مجتمعِ الإيمانِ.
- الإيمانُ الصادقُ أساسُ كلِّ خيرٍ.
- الأُمومةُ الحانيةُ سببٌ لعطاءِ الله.
- أهميَّةُ الوفاءِ بحقِّ الزوجِ في رعايةِ الأولادِ.
- أهميَّةُ حفظِ المرأةِ زوجها في نفسها وولدهِ.
- الثقةُ في اللهِ تعالى واللجوءُ إليه وحده عندَ الشدائدِ = سببٌ للنصرِ والثباتِ.
- إعانةُ الزوجِ على أمرِ دينه ودعوته من أبرزِ صفاتِ نساءِ الرسالاتِ.

## الصدّيقة البارة الصابرة

خبرٌ لمجالسِ السَّمْرِ والفائدة:

زوجةُ أيوبَ عليه السلام، كانت مع زوجها، في الرخاءِ شاكرةً، وعندَ البلاءِ صابرةً، فَضَرَبَتْ بِذَلِكَ أروعَ الأمثالِ في الوفاءِ، وحتى أصبحتُ شامةً في جبينِ الصالحاتِ القانتاتِ.

وحقيقٌ أن يكونَ خبرُها أحدَ مجالسِ السَّمْرِ والفائدة.

• عطاءُ الله عظيمٌ:

قال الإمامُ ابن كثيرٍ رحمه اللهُ: قال علماءُ التفسيرِ والتاريخِ:

كانَ أيوبُ عليه السلامُ كثيرَ المالِ، نالَهُ من سائرِ صنوفِهِ وأنواعِهِ<sup>(١)</sup>: أنعامٌ وعبيدٌ وأراضٍ متسعةٍ ودورٍ، وهو مع ذلك كله: فهو

نبيٌّ يوحى إليه.

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث (١/٢٥٥).

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ ﴾ النساء: ١٦٣.

• لم يبقَ عضوٌ سليمٌ سوى القلبِ واللسانِ :

(وقد نزلَ البلاءُ بأيُّوبَ عليه السلامُ، فذهبَ المألُ ولم يبقَ منه شيءٌ، وعمَّ البلاءُ بالأهلِ والأولادِ.. ولم يبقَ إلا زوجةٌ صالحةٌ راشدةٌ، وحلَّ بالجسدِ.. ولم يبقَ منه عضوٌ سليمٌ سوى قلبه ولسانه يذكر الله عز وجل بها، وهو في ذلك كله صابرٌ محتسبٌ، ذاكراً لله عزَّ وجلَّ في ليله ونهاره وصباحه ومساءه)<sup>(١)</sup>.

واللهُ تعالى يبتي ليصطفي.

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث (١/٢٥٥).

## • صبرُ أيوب :

الأمثالُ كلماتٌ فيها عمقُ المعنى، تنتشرُ فتختصرُ المعانيَ الكبيرةَ وتغني عن الكلماتِ الكثيرة.

وقد غدا صبرُ أيوبَ عليه السلامُ مثلاً لكلِّ صابرٍ، وتحفيزاً لكلِّ مبتلىٍ يرجي منه الصبرُ.

ويكفي أن الله تعالى أشاد بصبر أيوب في القرآن العظيم. قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ

بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا

فَأُضْرِبْ بِهِ. وَلَا تَحْنَثْ ﴿٤٤﴾ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٥﴾ ص.

## ثمانية عشرة سنة أبعدتِ القريبَ والبعيدَ

الهال والعطاء يقربُ الكثيرَ من الناس! والفقيرُ بعد الغنى، والمرضُ بعد الصحة، والضعفُ بعد القوة يباعِدُ الكثيرَ منهم، وتغيّرُ الحالِ بوابةٌ لمزلةِ اللسانِ في انتقاصِ الناسِ وأثمّهم.

وفي خبرٍ صحيحٍ عن أنسِ بنِ مالكٍ، رضيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال:

((إنَّ نبيَّ اللهِ أيوبَ صلى اللهُ عليه وسلّمَ لَبِثَ به بلاؤُهُ ثمانَ عشرةَ سنةً فرَفَضَهُ القريبُ والبعيدُ إلا رجلينِ من إخوانِهِ كانا يغدوانِ إليه ويروحانِ، فقالَ أحدهما لصاحِبِهِ ذاتَ يومٍ: تَعَلَّمْ! واللهِ لقد أَذَنَبَ أيوبُ ذنبًا ما أَذنبَهُ أحدٌ من العالمينِ. فقالَ له صاحِبُهُ: وما ذاكُ؟ قال: منذُ ثمانِ عشرةَ سنةٍ لم يرحمهُ اللهُ فيكشفُ ما به! فلما راحا إلى أيوبَ لم يصبرِ الرجلُ حتى ذَكَرَ ذلكَ له، فقالَ أيوبُ: لا أدري ما تقولانِ! غيرَ أنَّ اللهُ تعالى يعلمُ أيُّ كُنْتُ أمرُّ بالرجلينِ يتنازَعانِ، فيذكرانِ اللهُ فأرجعُ إلى بيتي فأكفّرُ عنها، كراهيةً أنْ يُذكَرَ اللهُ إلا في حقِّ. قال: وكان يخرجُ إلى حاجتِهِ فإذا قَضَى حاجتَهُ أمسكتَهُ امرأتُهُ بيدهِ حتى يبلغُ، فلما كانَ ذاتَ يومٍ أبطأَ عليها، وأوحىَ إلى أيوبَ: أنْ ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُعْتَسِلًا بَارِدًا وَشَرَابًا﴾ ﴿١٢١﴾ ص. فاستبطأتُهُ، فتلقَّتهُ تنظُرُ، وقد أقبلَ عليها قد أذهبَ اللهُ ما بهِ من البلاءِ، وهو أحسنُ ما كان! فلما رأتهُ قالت: أيُّ باريك اللهُ فيك. هل رأيتَ نبيَّ اللهُ هذا المُبتلى، واللهُ على ذلكِ! ما رأيتُ أشبهَ منكِ إذ كانَ صحيحًا، فقال: فإني أنا

هو! وكان له أندران (أي بيدران)<sup>(١)</sup>: أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله سبحانه سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض! وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق<sup>(٢)</sup> حتى فاض!<sup>(٣)</sup>.

ويبقى الأوفياء يميزهم الابتلاء.

• لم يبق أحدٌ يحنو عليه سوى زوجته :

كلمة فخرٍ تُسجل لكل امرأةٍ تقيّةٍ وفيّةٍ لزوجها.. موقفُ امرأةٍ أنصَفَها موقفُها الذي اتخذته من البقاء مع زوجها وقت الشدّة. قال ابنُ كثيرٍ عن زوجةِ أيوبَ عليه السلامُ: "لم يبقَ أحدٌ يحنو عليه سوى زوجته، كانت ترعى له حقّه، وتعرف قديمَ إحسانه إليها وشفقتَه عليها، فكانت تتردّدُ إليه فتُصلِحُ من شأنه، وتُعينه على قضاءِ حاجته، وتقومُ بمصلحته. وضعفَ حالها وقلَّ مالها حتى

---

(١) موضع يُجمع فيه القمح ثم يداس فيه حتى يخرج سنبله. (٢) أي الفضة.

(٢) أي الفضة.

(٣) رواه ابن حبان والحاكم وأبو يعلى وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٥٣)، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط الشيخين.

كانت تخدم عند الناس بالأجر لتطعمه وتقوم بأوديه<sup>(١)</sup>، رضي الله عنها وأرضاها، وهي صابرةٌ معه على ما حلَّ بهما من فراقِ المالِ والولدِ وما يختصُّ بها من المصيبةِ بالزوج من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى: الصبرُ على ضيقِ ذاتِ اليدِ وخدمةِ الناسِ بعد السعادةِ والنعمةِ والخدمةِ والحرمةِ. فإنَّا لله وإنا إليه راجعون<sup>(٢)</sup>.

• يا ربّ! ومن يشبعُ من رحمتك :

فرجُ الله قريب. فقد أذهبَ اللهُ تعالى عن أيوبَ ما كانَ يجِدُه من الألمِ والأذى، وأخلفَ اللهُ له أهلهُ، وردَّ عليه المالَ وأعطاهُ. واللهُ إذا أعطى أدهش.

---

(١) تصلحُ أموره.

(٢) قصص الأنبياء (٢٣١)، بتصرفٍ يسير.

روى البخاريُّ في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُريَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ<sup>(١)</sup> جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْتَجِي فِي نَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتَكَ عَمَّا تَرَى، قَالَ بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لَا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ»<sup>(٢)</sup>.

إنها عاجلُ البشرى لزوجين كريمين. وما عند الله: خيرٌ للأبرار.

---

(١) جماعة من الجراد. وهذا اللفظ من أسماء الجماعات التي لا واحد لها من لفظها، مثل: سرب من الطير.

(٢) رواه البخاري (١٥١/٤).

- للتاريخ تأثيرٌ وتوجيهٌ :
    - المواقفُ الصعبةُ تُبرزُ المعادنَ الغاليةَ من النفوسِ .
    - في قصصِ القرآنِ عبرةٌ وعِظَةٌ وتثبيتٌ وتسليَةٌ .
    - اللهُ سبحانه وتعالى شكورٌ، واللهُ سبحانه أوفى الأوفياءِ، فلا يأسَ من رحمتهِ .
    - تكوينُ الأسرةِ وتربيتها هو المشروعُ الرئيسيُّ للمرأةِ في الحياةِ .
    - الأخلاقُ: رأسُ مالِ المرأةِ الصالحةِ، وهي أئمنُ ما تملكُ: [الصبرُ والوفاءُ والحياءُ والعفافُ].
-

## أم موسى عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنها

### • مولود في حالة استثنائية :

اتخذ فرعون قرارًا بقتل الأطفال الذكور من بني إسرائيل، والسبب: رؤيا منام عبّرت له بأن غلامًا يولد من أولاد يعقوب يكون هلاك أهل مصر على يديه.

في هذا الظرف العصيب حملت أم موسى عليه السلام. قال الله تعالى: ﴿طَسَمَ ۙ (١) تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ (٢) نَتَلَوُا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُدْبِحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ لَمُفْسِدِينَ ۝ (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ (٥) وَنُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝ (٦) القصص.

• أربكت حالة الرعب والترقب أم موسى ، كيف تحافظ على ابنها من مذابح فرعون :

فَأرْسَدَتْ أَنْ تَرْضِعَهُ فَإِنْ أَحْسَسَتْ خَوْفًا وَضَعَتْهُ فِي تَابُوتٍ وَأَلْقَتْهُ فِي نَهْرِ النَّيْلِ، وَأَلْقِي فِي خَلْدِهَا وَرَوْعِهَا أَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي، فَاللَّهُ يَرُدُّهُ إِلَيْكَ بَعْزَةً وَكِرَامَةً.

قال الله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿٧﴾ القصص.

• لن يغني حذرٌ من قدرٍ :

فرعون بدأ يقتل الغلمان دون رحمة أو شفقة حذرًا من وجود موسى ، رجالٌ وقوابلٌ يدورون على الحبالى ويعلمون ميقاتٍ وضعهنّ، فلا تلد امرأةً ذكرًا إلا ذبحه أولئك السفاحون من ساعته. والله العظيم سبحانه حكم أن المولود الذي قُتل بسببه ما لا يُعدُّ ولا يُحصى، يتربى في دار فرعون ويغذو من طعامه وشرابه، ويكون هلاك فرعون في دنياه وأخراه على يديه، قال الله تعالى: ﴿ فَأَلْقَطَهُ ۖ ءَالَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴾ ﴿٨﴾ القصص. وأدخل موسى الرضيع قصر فرعون.

## • فؤاد فارغ :

هل يكون الفؤاد فارغاً؟ ينسى الدنيا وكل ما فيها؟ نعم! إذا امتلأ أمومة!

إنه فؤاد أم موسى رمز الأمومة الحانية، قال الله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَدَرِيًّا ۚ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ القصص .

قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو عبيدة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم: " وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً " أي من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى عليه السلام !! فكيف يعود مولود من قصر فرعون لأم فارغة الفؤاد؟

## • رجوع بكرامة :

دخل الطفل الرضيع موسى قصر فرعون، ووصل يد امرأة فرعون، وجعل الله له القبول في نفسها، وشفعت عند الملك، فأبقاه، وجاع الرضيع: أطعموه، لا يقبل! أرضعوه، لا يقبل! بدأوا البحث عن مرضعة، فرأتهم أخت موسى وهي تبحث عن أخيها بأمر

أمّها، لم تَبْحُ بسرّ أنه أخوها، ودلّتهم على امرأةٍ قد تقبلُ أن يرَضَعَ منها. وطُلبتُ للقصرِ أمُّ موسى، وأرضعتِ الطفلَ وأقبلَ عليها. فطلبوا بقاءها، فاعتذرت، إلا أن يُنقلَ الطفلُ إليها. وجاءت الموافقةُ مع راتبٍ ونفقةٍ وكسوةٍ وهباتٍ. ما أعظمك يا الله! بَشَّرتَ بعودةِ الطفلِ إلى أمِّه! فيها هيَ تحمُّلهُ، وقرَّتْ عينُها وزالَ حزنُها.

## صاحبةُ التكريمِ الإلهيِّ

آسيا بنتُ مزاحم.. زوجُ فرعون.

وهي التي استقبلت موسى عليه السلام في بيت فرعون.

١ . مريية كليم الله :

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ القصص : ٩ .  
فعاش موسى تحت رعايتها مُعَزَّزًا مُكْرَمًا.

٢ . نِعَمَ الْجَوَارِ :

كانت مؤمنة؛ ولهذا عذبها فرعونُ عذابًا شديدًا، لكنّها بقيت صابرةً محتسبةً.

يقولُ اللهُ تعالى عن أمرِ دعائها ربّها: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَاتِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْتِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِئْتِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ التحريم .

### ٣. مَنَحُ الْجَوَارِ وَكَرَائِمِ الْعَطَاءِ :

اللَّهُ سَبْحَانَهُ كَرَّمَهَا بِأَنْوَاعٍ مِنَ التَّكْرِيمِ:

- حَيْثُ جَعَلَهَا ذَلِكَ الشَّخْصَ الَّذِي يُنْقِذُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْبَحْرِ، وَيُرَبِّيهِ بِجُهْدِهِ وَمَالِهِ.
- وَوَقَّعَهَا سَبْحَانَهُ لِلْإِيْمَانِ بِهِ جَلًّا وَعِلًّا وَأَنَّهُ سَبْحَانَهُ الْإِلَٰهُ الْحَقُّ.
- وَاسْتَجَابَ دَعَاءَهَا.
- وَجَعَلَ مَثْوَاهَا فِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةِ وَدَارَ رِضْوَانِهِ.
- وَذَكَرَ قِصَّتَهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ لِتُتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

### ٤. أَفْضَلُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَأَكْمَلُهُنَّ :

وَمِنَ التَّكْرِيمِ لَهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُرَّاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ))<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أحمد في مسنده ١٩٤/٣، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

٥. عِبْرٌ مِنْ صَاحِبَةِ التَّكْرِيمِ الإِلَهِيِّ :
- الإيمانُ باللهِ عزَّ وجلَّ أغلَى من الدنيا وما فيها.
  - الحنانُ والعطفُ فطرةٌ في قلبِ المرأةِ.
  - الأعمالُ الصالحةُ هي التي ترفعُ صاحبها عندَ اللهِ سبحانه.
  - كم من امرأةٍ سبقتُ رجالاً في بابِ الخيراتِ والأعمالِ الصالحةِ.
-

## دروس في الحياء

زوجة موسى كلیم الله تعالى عليه السلام، وأختها :  
امراتان من قوم مدين، كانتا ترعان الغنم. يُقال لئنهما ابنتا شعيب عليه السلام.

### ١. بر وعصامية :

برُ الوالدين واجبٌ، واليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى، قال الله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً  
مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾  
الفصص.

### ٢. بر وعصامية :

- لا تسقي حتى يفرغ الرعاة.. حياء.
- مشيها باستحياء، وهو المبالغة في الحياء.
- طلبت من يكفيها العمل الذي جعلها تبرز للرجال.. حياء: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ﴾

٣ . رجاحةٌ عقلٍ :

فقد ذكرت أهم أخلاقِ العملِ : ﴿ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ .

٤ . حديثٌ على قدرِ الحاجةِ :

دونَ استرسالٍ في الحديثِ: بلّغت الرسالةُ المختصرةَ لموسى عليه السلامُ، وكأَنَّها برقيةٌ. قال اللهُ تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنَّكَ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ .

٥ . احترامٌ للأبِ وتقديمٌ له :

﴿ قَالَتْ إِنَّكَ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ .

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجِرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ (٦١) القصص .

٦ . من مدرسة حياءِ زوجة موسى عليه السلام وأختها :

- برّ الوالدين.
  - العملُ الشريفُ أولى من مدّ اليَدِ للناس.
  - الحديثُ مع غيرِ المحرمِ على قدرِ الحاجة.
  - ضرورةُ العملِ خارجِ الدارِ لا تعني إسقاطَ الحياءِ.
-

## مريمُ العذراءُ عليها السلام

١ . سليلَةُ بيتِ النبوة :

الصديقةُ مريمُ بنتُ عمرانَ من سُلالةِ النبيِّ داودَ عليه السلام.

٢ . بركةُ دعوةِ الأمِّ :

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُوَلَّدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنَهَا» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾<sup>(١)</sup>. آل عمران.

٣ . العابدةُ :

قال الله تعالى: ﴿يَمْرِيئُ أَفْتَى لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾<sup>(٢)</sup> آل عمران.  
لم يكن في زمانها نظيرها في العبادة، حتى ضُربَ بها المثلُ في العبادة عند بني إسرائيل.

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٢٦٥) واللفظ له، ورواه مسلم (٤/ ١٨٣٨).

٤ . أم عيسى عليه السلام وكافلته :

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ آل عمران.

٥ . شؤم التعدي على أعراض العفيفات :

ذكر الله تعالى قول المرجفين في مريم: ﴿ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَّخِذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا مَرْيَمَ . فَحَكَمَ اللَّهُ عَلَى فِرْيَتِهِمْ فَقَالَ: ﴿ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾ النساء.

## ٦ . الناجون في أمر العذراء مريم عليها السلام :

عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»<sup>(١)</sup>.

## ٧ . أحسن الأوصاف في سجلّ الخالدين :

- القبول والثبات الحسن من الله تعالى لها. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾.
- الاصطفاء والتطهير على نساء العالمين. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يَمْزِجُ إِنْ أَلَّهَ اصْطَفَاكَ وَطَهَّرَكَ وَأَصْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾.
- الصديقّة. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾.

(١) رواه البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٣٥).

- أفضل نساء الجنة. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: خَطَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الأرضِ أربعةَ خطوطٍ، قال: "أتدرون ما هذا؟"، قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم -: "أفضلُ نساءِ أهلِ الجنةِ خديجةُ بنتُ خويلد، وفاطمةُ بنتُ محمد، ومريمُ بنتُ عمران، وآسيةُ بنتُ مُزاحم امرأةُ فرعون" (١).

#### ٨ . مع العذراءِ : حِكْمٌ وَاَدَابٌ :

- دعوةُ الأمِّ لولدها مقبولةٌ عندَ الله.
- الله تعالى يدافعُ عن أوليائه الصالحينَ أهلِ العفاف.
- صيانةُ الألسنِ عن أعراضِ العفيفات.
- الأمُّ أساسٌ في بناءِ الأجيالِ المؤمنة.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣/١٩٤)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

## خيرُ نساءِ الأُمَّةِ خديجةُ رضيَ اللهُ عنها

١ . زوجةُ سيِّدِ البشريَّةِ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم :

خديجةُ بنتُ خويلد، الزوجةُ الأولى لرسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وأُمُّ أولادهِ كلِّهم إلا إبراهيمَ عليه السَّلام.

٢ . السابقةُ إلى الإسلام :

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءِ، قَالَتْ: فَعُغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذَكُرُهَا حَمْرَاءَ الشُّدُقِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: "مَا أَبْدَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنْتَ بِي إِذْ كَفَرَبِي النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَأَسْتَنِي بِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النَّسَاءِ"<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ط الرسالة (٣٥٦/٤١)، وصححه شعيب الأرناؤوط والمحققون.

٣. أكثر من ربع قرن في خدمة زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

في العشرة: لم تَسُو رسول الله صلى الله عليه وسلم قط، ولم تُغاضبه.

في الدين: تثبت له وتصديق به، وإيمان بما أنزل عليه.

في الدنيا: واسته بها.

ثبات حتى الممات، رحمتها الله ورضي عنها.

٤. معروف لا يُنسى:

لم يَسَأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثناء عليها والاستغفار لها. وقال: «إني قد رزقتُ حُبها».

عن عائشة، قالت: ما عرتُ على نساء النبي صلى الله عليه وسلم، إلا على خديجة وإني لم أدرِكها، قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة، فيقول: «أرسلوا بها إلى أصدقائِ خديجة» قالت: فأغضبتُه يوماً، فقلتُ: خديجة فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم «إني قد رزقتُ حُبها»<sup>(١)</sup>

(١) رواه مسلم (٤/١٨٨٨).

## ٥. كلمات تفوح أريجاً:

قالت خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَاللَّهِ مَا يُحْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»<sup>(١)</sup>.

( ١ ) تبشير خديجة رضي الله عنها = من بلاغ الرسالة المحمدية :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أَمَرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ بِنَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ " <sup>(٢)</sup>.

( ٢ ) سيدة الدنيا هي سيدة الآخرة :

قبل الإسلام كان أهل مكة يصفون خديجة بسيدة قريش ويدعونها بالطاهرة.

وفي الإسلام الصديقة الأولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخير نساء الأمة.

---

(١) رواه البخاري (٧/١).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ط الرسالة (٣/٢٨٣). ورواه البخاري (٣٩/٥) بلفظ آخر.

وفي الآخرة أفضل نساء أهل الجنة مع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهن.

٣ ( خصيصةٌ لسيدةِ نساءِ المسلمينَ : "فَأَقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي!"

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "أَتَى جَبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةٌ قَدْ آتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَأَقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ" (١)

٦. فوائد من مدرسة سيدة النساء :

- المبادرة إلى فعل الخيرات.
- عند اختيار الزوج: يُقدّم الصدق والأمانة على الثراء والمال.
- الاحترام المتبادل بين الزوجين أساس السعادة.
- معيار نجاح الزوجة أن يُصبح بيتها سكناً مريحاً لزوجها ولها.

## الصدّيقة عائشة رضي الله عنها

أمّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق هي الزوج البكر لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

### ١ . في سرقة<sup>(١)</sup> الحرير :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهَا: "أُرَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ، أَرَى أَنَّكَ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، وَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَكَشِفَ عَنْهَا، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَأَقُولُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمُضِهِ"<sup>(٢)</sup>.

### ٢ . المحبوبة :

عَنْ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: "أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مَنْ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) أي: قطعة من جيّد الحرير.

(٢) رواه البخاري (٥٦/٥) ومسلم (١٨٨٩/٤).

(٣) رواه البخاري (٥/٥) ومسلم (١٨٥٦/٤).

### ٣ . سلام من جبريل للصديقة :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا: «يَا عَائِشُ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ» فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ<sup>(١)</sup>.

### ٤ . اختيار لا مراجعة فيه :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ، بَدَأَ بِي، فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لِكَ أَمْرًا، فَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبِيكَ»، قَالَتْ: قَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبِيَّ لَمْ يَكُونَا لِيَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرْذَنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتِعُكُنَّ وَأَسْرِّحُكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتُمْ تُرْذَنَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٢٩] ،" قَالَتْ: فَقُلْتُ: فِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبِيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري (٢٩/٥) واللفظ له، ومسلم (١٨٩٦/٤).

(٢) رواه البخاري (١١٧/٦) ومسلم (١١٠٣/٢) وهذا لفظ مسلم.

## ٥ . بشارةٌ قبل الفراق :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ فَاطِمَةَ، قَالَتْ: فَتَكَلَّمْتُ أَنَا فَقَالَ: (أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)؟! قُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ، قَالَ: (فَأَنْتِ زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)<sup>(١)</sup>.

## ٦ . غَارُ الْجَلِيلِ سُبْحَانَهُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

نَزَلَ الْوَحْيُ بِرَاءَةِ الصَّدِيقَةِ عَائِشَةَ مِمَّا رُمِيَ بِهِ مِنَ الْإِفْكِ، وَتَلَّى فِي الْمَحَارِبِ، وَسَيَّئِلِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَلَى رِغْمِ أَنْفِ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ.

## ٧ . بِقُرْبِ الْحَبِيبِ إِلَى آخِرِ اللَّحْظَاتِ :

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تُوِّفِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي، وَفِي نَوْبَتِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ " قَالَتْ: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِسِوَاكِ، «فَضَعَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ، فَأَخَذْتُهُ، فَمَصَّغْتُهُ، ثُمَّ سَنَنْتُهُ<sup>(٢)</sup> بِهِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (١٨١/١٠) وصححه الألباني.

(٢) سَوَّكْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ.

(٣) رواه البخاري (٨١/٤).

## ٨ . خمسون سنة في التعليم :

عُمِّرَتْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرِيبًا مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً تُبَلِّغُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، وَتُفْتِي الْمُسْلِمِينَ، وَتُصَلِّحُ بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ.

## ٩ . الصديقة تنقل رُبعَ الأحكام الشرعية للأمة :

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ حَجَرٍ: (نَقَلَ النَّاسُ عَنْهَا - أَي عَائِشَةَ - مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْأَدَابِ شَيْئًا كَثِيرًا، حَتَّى قِيلَ إِنَّ رُبْعَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مَنْقُولٌ عَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)<sup>(١)</sup>.

---

(١) فتح الباري (١٠٧/٧).

١٠ . حِكْمٌ مُسْتَفَادَةٌ مِنْ عَالِمَةِ الْأُمَّةِ الصِّدِّيقَةِ عَائِشَةَ :

- خدمةُ الزوجِ وطاعتهُ إلى آخرِ لحظاتِ الحياةِ.
- التعليمُ أشرفُ مهنةٍ لِمُرَبِّيةِ الأجيالِ.
- الحياءُ شامةٌ<sup>(١)</sup> في جبينِ العفيفاتِ.
- صونُ اللسانِ عن أعراضِ العفيفاتِ.
- خوفُ العفيفةِ على سمعتها يُبعدها عن كلِّ قولٍ أو عملٍ أو مكانٍ أو تواصلٍ يسئُ لها.

---

(١) علامة واضحة.

الخاتمة :

((مع الخالدات))

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟، قَالَ: (وَمَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟) قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ: (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ) قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرِحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ!!) رواه البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩).

((نساء الرسالات))

نحبهنَّ، ونقتدي بهنَّ، ونسعى بأخلاقنا نحوهنَّ، علَّ الله عزَّ وجلَّ أن يحشرنا معهنَّ في أعلى الجنَّة.

((مجموعة أخلاقٍ ومطالبٍ منشورةٍ في اللوحة))

- ١ . الإيمانُ باللهِ عزَّ وجلَّ .
  - ٢ . الاستسلامُ لله سُبْحانَهُ .
  - ٣ . مُعاداةُ إبليسَ وجنَدِهِ .
  - ٤ . الحياءُ .
  - ٥ . السِتْرُ والحجابُ .
  - ٦ . العفافُ .
  - ٧ . التوبةُ .
  - ٨ . إصلاحُ مظاهرِ الخطأ .
  - ٩ . طاعةُ الزوج .
-

١٠. مراقبةُ الله عزَّ وجلَّ.
١١. اللجوء إلى الله عزَّ وجلَّ عند الأزمات.
١٢. الأمومة الحانية.
١٣. الوفاء للزوج.
١٤. تربيةُ الأولاد.
١٥. مشروعِي في الحياة أسرةٌ مستقرَّة.
١٦. الصبرُ عند الأزمات.
١٧. برُّ الوالدين.
١٨. العملُ الشَّريفُ أولى من مدِّ اليَدِ إلى الآخرين.
١٩. الحديثُ مع غيرِ المحرَّمِ على قدرِ الحاجة.
٢٠. صيانةُ الألسنِ عن أعراضِ العفيفات.

٢١. اختيارُ الزوجِ الصَّالحِ.
٢٢. الغَيْرَةُ على دينِ اللهِ عزَّ وَّجَلَّ.
٢٣. المرأةُ مصدرُ سرورٍ لزوجها.
٢٤. المرأةُ عونٌ للزوجِ في أمرِ دينه.
٢٥. المبادرةُ إلى فعلِ الخيراتِ.
٢٦. احترامُ الزوجِ.
٢٧. البعدُ عن مواطنِ الرِّيبةِ.

